المحاضرة الخامسة تتمّة الشاعر الناقد النابغة الذبياني.

- **الاغراض الشعرية في شعر النابغة الذبياني :**

١.المـــديح : ومـن الشخصـيات المهمـة والكبيـرة التـي مـدحها النابغـة الـذبياني فـي شـعره النعمـان بـن المنـذر لمـا لهـذا الرجـل مـن مكانـة عظيمـة بـين العـرب وبـين قبائلهـا ، وهـو مـن الشخصـيات القويـة فـي تـاريخ الجاهليـة وأميـر الحيـرة وسـلطانها وبـاني حضـارتها . ومـن قـول النابغـة الـذبياني فـي مدحـه مـن المعلقـة الدالية :

الواهـــــبَ المـــــائةَ المِعـــكاءَ زيَّنـــــها

ســعـــــــــدانُ توضـــــــحَ في أوبارِها اللِّبدِ

فتـــــــلكَ تُبُلغنـــــــي النـعمـــانَ إنَّ لـــــهُ

فضـــلاً على الناسِ في الأدنى وفي الـــــــبُعُدِ

ولا أرى فاعلاً في الـــــناسِ يشـــــــــبهـــُهُ

ولا أحاشـــــــي من الأقـــــــوامِ من أحـــــــدِ

ومـديح النابغـة فـي هـذا الرجـل يمتـاز بالجزالـة وذكـر خصـال الممـدوح ، كمـا إنـه يحـوي سـمة حضـرية ويكـاد ينتمـي فـي مديحـه هـذا إلـى مدرسـة أوس بـن حجـر الشعرية في التهذيب والتنقيح والتثقيف للنص الشعري المدحي .

ومـن ممدوحيـه الآخـرين عمـرو بـن الحـارث الغسـاني ، وهـو يمـدح آبـاء هـذا الرجـل القائـد وعشـيرته مـن الغساسـنة ويثنـي علـى خصـائلهم الحميـدة وكيـف

استجابوا لمطالبه في العفو والصفح عن قبيلته من بني ذبيان حين غزوهم ونكّلوا بهم أشد تنكيل. ومن هذا المديح قوله في معلقته البائية :

إذا ما غزوا بالجيشِ حلَّق فوقهم عصـــــــائبُ طيرٍ تهتدي بعصائبِ

ولا عيبَ فيهم غيرَ أنَّ سيوفهم بهـــــــنّ فلولٌ من قِـــراعِ الكتائبِ

لهم شيمةٌ لم يعطها اللهُ غيرهم من الـــــــــناسِ والأحلامُ غيرُ عَوازبِ

ويمتاز مديح النابغة الذبياني لهذا الرجل بدقة الألفاظ وحسن استعمال الصور في التعبير عن مضامين المديح بمشاعر مختلفة عند الشاعر ، وتنوّع المعاني المدحية من الشخص القائد إلى الجيش الذي يقوده ووصفه ومدحه ومدح مقاتليه وما حققوه من انتصارات .

٢. **الاعتذاريات** : وهي من أجمل وأروع ما قاله النابغة الذبياني من أشعار عُرفت باسمه في كتب الأدب وكتب التراجم وكتب الطبقات والمختارات الشعرية في عموم الشعر العربي وليس في الشعر الجاهلي فحسب ، فسُميّت بـ (اعتذاريات النابغة الذبياني). قالها النابغة في الاعتذار من النعمان بن المنذر ومدحه بعدما حدثت القطيعة بينهما للأسباب التي ذكرتها لكم في دراستنا لحياة الشاعر والمؤثرات الخاصة في هذه الحياة .

دوافع (أسباب) شعر الاعتذار عند النابغة الذبياني:

أ. ندم الشاعر على مفارقة عظيمة حدثت بينه وبين المعتذَر منه ، سببها الوشاة والحاسدون بلا ذنب من الشاعر أو جريمة .

ب. الرغبة الخفية من قبل الشاعر في العودة إلى النعمان والعيش في ترفه وهباته ومنعته وقوته .

ت. الرهبة والخوف من نقمة وبطش تؤرقان النابغة وتقضُّ مضجعه وتتركه فريسة الأقدار السيئة إذا استمرت المقاطعة والجفوة بينهما .

أفكار الاعتذار ومعانيه الفكرية الأدبية عند النابغة الذبياني :

أ. تسويغ فني أدبي مقنع لما قاله الشاعر في مديح الغساسنة ، خصوم المناذرة وخصوم النعمان وبيان شرح أسباب هذا المديح وإقناع النعمان بواجب الشاعر المدّاح تجاه من غصب حق قبيلته وقتلها واحتلّ أراضيها وزروعها .

ب. المديح للغساسنة كان شكراً وعرفاناً ووفاءً لما فعلوه في حق النابغة وتقديرهم لشعره المدحي فيهم بردّ الحقوق إلى قبيلته والعفو عن رجالها وأبنائها ونسائها.

ت. ولاء الشاعر النابغة الذبياني المطلق والحقيقي للنعمان بن المنذر ، وبيان مظلوميته من الجميع من حاسدين وحاقدين وكارهين للعلاقة الطيبة الحميمة بينه وبين النعمان .

ث. تمجيد سلطة النعمان بن المنذر ، وتعظيم قوته ونفوذه بين القبائل العربية المختلفة ، وجعله سيداً قاهراً يبسط يده الباطشة القوية على الجميع .

ومن شواهده الشعرية الرائعة في الاعتذار قوله للنعمان بن المنذر :

لئن كنتّ قد بُلّغتَ عني خيانةً لمبلغُكَ الواشي أغشُّ وأكذبُ

وإنَّكَ شمسٌ والملوكُ كواكبٌ إذا طلعتَ لم يبدُ منهنَّ كوكبُ

ألم ترَ أنَّ الله أعطاكّ سورةً ترى كلَّ ملكٍ دونها يتذبذبُ

فإنْ أكُ مظلوماً فعبداً ظلمتَه وإنٍ تكُ ذا عُتـــــــــبى فمثلُكَ يُعتبُ

٣. **الوصـف** : للنابغـة الـذبياني شـعرٌ كثيـر فـي هـذا الغـرض الشـعري ومنهـا يـأتي فـي أشـعاره الوصـفية علـى السـرد القصصـي وتصـوير الحكايـات بـين الحيوانـات والقتـال فيمـا بينهـا وصـولا إلـى المعتـذَر منـه (النعمـان) ، ومنهـا فـي وصـف الجـيش والمعـارك وانتصـارات هـذا الجـيش فـي تلكـم المعـارك وصـولا إلـى الممـدوح (الغسـاني). ومنهـا مـا جـاء فـي أوصـاف الطبيعـة ومظاهرهـا وهـي تقـرن بالمـديح أو الاعتـذار أيضـاً ، كمـا فـي قصـيدته التـي يصـف بهـا الفـرات ويقـرن جـود النهـر وجريانـه بجـود الممـدوح وشـدة عطائـه (للنعمان) ومنها قوله :

فما الفراتُ إذا هبَّ الرياحُ لهُ تـرمـــــــــى أواذيّه العبِرين بالزَّبدِ

يوماً بأجودَ منهُ سيبَ نافلةٍ ولا يـحولُ عطاءُ اليوم دونَ غـــدِ

وهنـاك أوصـاف الطبيعـة الكونيـة فـي شـعر النابغـة الـذبياني كمـا لاحظنـا فـي معلقتـه البائيـة (كليـنـي لهـمٍ....) يصـف الليـل وهـو ليـل الغربـة والحرمـان والكآبة والأحزان.

٤. **الرثـــاء** : مـن الاغـراض الشـعرية التـي جـاءت فـي شـعر النابغـة الـذبياني، وشـعره فـي هـذا الغـرض عـاطفي محـزن (دوافـع ذاتيـة) . وإعلامـي اشـهاري (دوافـع سياسـية)، وهـو فـي هـذا الرثـاء يـدعو بالسـقيا لقبـر الميـت (تقليـد اجتمـاعي أدبـي دينـي ظهـر عنـد الشـعراء الجـاهليين) ، هـذه السـقيا للرحمـة والمغفـرة لقبـر المرثـي لكبـر فقـده وكثـرة محاسـنه وصـفاته الحميـدة المجيـدة بـين النـاس. ومـن ذلـك قولـه راثيـاً للنعمـان بـن الحـارث الأصـغر الغساني :

سقّى الغـــيثُ قبراً بين بُصرى وجـــاسمٍ

بغـــــــيثٍ من الوسميّ قـــــطرٌ ووابلُ

ولا زالَ ريحـــانٌ ومســـــــــكٌ وعنبرٌ

على منـــــــــــتهاه دِيمةٌ ثـــــــــم هاطِلُ

الخصائص الفنية في شعر الشاعر النابغة الذبياني :

١. الصـنعة العاليـة والتنقـيح فـي الشـعر فيكـاد الشـاعر النابغـة الـذبياني ينتمـي إلـى مدرسـة عبيـد الشـعر وأصـحاب الحوليـات لشـدة عنايتـه بشـعره وألفاظه وتراكيبه وصوره الشعرية ، ولذلك أسباب منها :

أ. مجـيء أغلـب شـعره فـي المـديح والاعتـذار وهمـا غرضـان يقـالان فـي حضـرة عليـة القـوم وسـاداتهم فيحتاجـان إلـى العنايـة والدقـة والتركيـز في الألفاظ والمعاني الشعرية .

ب. النابغـة الـذبياني الشـاعر الناقـد الـذي ينتقـد الشـعراء الآخـرين لضـعف شـعرهم وهلهلـة ألفاظـه ومعانيـه ، ولـذا فهـو لا يرضـى لشـعره مثـل هذا الضعف والتقصير في الشكل والمضمون .

٢. الواقعيـة فـي رسـم الصـور الفنيـة ، ولا سـيما مـع غرضـيْ الرثـاء والوصـف فـي شـعر الشـاعر النابغـة الـذبياني إذ فيهمـا الأوصـاف الحيـة والمتحركـة الملتقطـة والمشـاهدة فـي الواقـع وفـي الحيـاة وتقـرن دائمـا مثـل هـذه الأوصاف مع المديح أو الاعتذار.

٣. شـيوع السـرد القصصـي فـي شـعره ولا سـيما فـي معلقتـه الداليـة ، هـذا السـرد يصـوّر رحلـة الصـيد ومـوت الحيـوان (الثـور الوحشـي) ، وتحمّـل الصـعاب والمفـاوز مـن أجـل الوصـول إلـى النعمـان ومدحـه والاعتـذار

منه وأنه يستحقُّ هذا العناء وهذه التضحية لما له من أهمية كبرى في حياة الشاعر والعرب.

٤. رسم الصور المتكاملة في شعر النابغة الذبياني ولوحاته الشعرية المختلفة فهو لا يميل إلى الجزئية في الصورة وإنما تأتي صوره عريضة كاملة تستوفي الموصوف وتحيط به من الجوانب كلها ، سواءٌ أكان هذا الموصوف من البشر في المدح والاعتذار والرثاء أم كان من الحيوانات أم كان من مظاهر الكون أم كان من المظاهر الطبيعية الأخرى التي جاءت في شعره.

المصادر العلمية للمحاضرة :

- **تاريخ الأدب العربي في العصر الجاهلي** : د. شوقي ضيف .
- **تاريخ الأدب العربي** : عمر فروخ (ج١).
- **تاريخ الأدب الجاهلي** : د. غازي طليمات ، عرفان الاشقر .
- **ديوان النابغة الذبياني** ، **تحقيق** : د. شكري فيصل .
- **ديوان النابغة الذبياني** ، **تحقيق** : محمد أبو الفضل إبراهيم .
- **ديوان النابغة الذبياني** ، **تحقيق وشرح وتعليق** : الشيخ محمد بن الطاهر عاشور.
- **شرح المعلقات العشر وأخبار قائليها** : الشنقيطي .
- **الشعراء الجاهليون الأوائل** : د. عادل الفريحات .
- **الأدب العربي وتاريخه في العصر الجاهلي** : محمد هاشم عطية .

- **نصوص من الشعر العربي قبل الاسلام (دراسة وتحليل)**: د. نوري حمودي القيسي ، د.محمود عبد الله الجادر ، د. بهجت عبد الغفور الحديثي.